

إعلام الدول الخليجية المقاطعة لقطر في مرحلة حاسمة

ورقة أُلقيت في منتدى جريدة الاتحاد الثاني عشر في 19 أكتوبر 2017 بأبوظبي

منصور النقيدان

المقدمة

في هذا الشهر أكمل ست سنوات مع جريدة الاتحاد، التي احتضنتني فيها وجهات نظر بعد انقطاع لشهور ثمانية عن الكتابة إثر حيرة أملت بي مع بدايات الاضطرابات التي عمت العالم العربي في أوائل 2011، ، فعير جريدة الاتحاد ومن خلال أكثر من ثلاثمئة مقالة كنت أعيش موسمي، فصول الحيرة والقلق والشكوك والخوف والفخر أحياناً والشعور بالعلو والانكسار، وجد الذات، والغرق في التاريخ والحنين إلى الماضي الجميل، ومنذ يونيو الماضي ومع بداية الأزمة الخليجية كنت أمر بدوامه جديدة من الحيرة، أكثر من أربعة أسابيع لم أكتب فيها شيئاً، كنت غارقاً في أحزاني، وحيرتي، ثم بدأت أتماسك وألمس الطريق، لقد سمحت وجهات نظر لي أن أثبت شكوكي، وأعبر عن حيرتي، وأنفت كلمات خجلي من الخوف على مستقبلنا، وأتاحت لي الفرصة عبر مقالتيين كنت شبه موقن أنهما لن يريا النور بأن أكون قاسياً على وسائل الإعلام وعلى نفسي وزملائي. أنا ممتن لجريدة الاتحاد.

ولأنني واحد منكم أيها الكتاب والإعلاميون فإنني أشرك وأكتب وأعلق في وسائل الإعلام الخليجية حول ما يجري، فإن هذه المقدمة ذات صلة مباشرة بما سأعرضه في الدقائق التالية.

منذ سنوات كلما شاركت في المنتدى كان يصحبنا زميلان قطريان هما عبد الحميد الأنصاري وأحمد عبد الملك، الأزمة الخليجية القطرية حالت دون استمرارهما في الكتابة في جريدة الاتحاد، ولهذا هما اليوم غائبان.

يمكننا وصف هذين الزميلين بأنهما يمثلان حالتين صادقتين للمنتقنين القطريين.

لم يكن لهما منذ سنوات بعيدة أي حضور إعلامي يذكر داخل قطر. عبد الحميد الأنصاري واحد من ضحايا تعاضم نفوذ القرضاوي والإخوان المسلمين في قطر، كان عميد كلية الشريعة في جامعة قطر، وربما بدا وحيداً وغريباً حين كان أحياناً في السنوات الأولى من الألفية الثالثة يشير إلى الدور المدمر للإخوان المسلمين. كمنتقف قطري كان على الدوام في موقع صعب في محاولته المكلفة نفسياً وسياسياً أن يتوازن. الآن يرسل إلي الأنصاري روابط لمقالاته في جريدة كويتية. وأرد عليه جواباً مشجعاً ولكنه مشوب بالألم والأسى.

أما أحمد عبد الملك فقد سعى مع اثني عشر أكاديمياً قطرياً لعقد صالون يتناولون فيه قضايا الإصلاح في قطر، وجمعت هذه الأوراق في كتاب نشر تحت عنوان : (الشعب يريد الإصلاح في قطر أيضاً). طبع الكتاب في لبنان العام 2012، وفي منتدى سابق لجريدة الاتحاد سألت أحمد

عبدالملك عن مصير الكتاب، قال لي: أحضرنا مئة نسخة وصودرت في مطار الدوحة، وحصلت على نسختين فقط.

كلاهما اليوم ينشران في صحف خليجية وكلاهما اتخذتا موقفاً بلدهما، أحمد عبدالملك يبدو أكثر حماسة، ومقالاته أكثر مباشرة ومساساً بتطورات الأزمة، بينما يعمد الأنصاري إلى الكتابة قدر ما يستطيع عن قضايا أخرى. وكلاهما ملتزمان بوصف المقاطعة الخليجية بالحصار.

يمكننا أن نلمس غياب زميل أو زميلين أيضاً كانا معنا في العام الماضي.

يمكن اختزال حال غالبية الكتاب والإعلاميين الخليجيين بالخوف، الخوف من أن لانفهم كما نحب أن نظهر، والخوف من أن لانتخذ المواقف الأكثر حماسة، الخوف من أن نبدو أمام من يحترمونا من الصحفيين الأوروبيين والأمريكيين وكأننا أبواق، والخوف من أن نكون في نظر الداخل وفي عيون قياداتنا متهاونين مهاندين، الوجل أن نحتسب أقل وطنية، وأقل ولاء، أو أقل بهجة وغبطة إزاء ماتتخذ حكوماتنا وقياداتنا السياسية من قرارات، الخوف من أن لانكون في صدارة المعلقين والكتاب والمنقذين الذين يشار إليهم بالبنان، الخوف من أن ينافسنا قادمون من أقصى المدينة يطيحون بنا ويحتلون مكاننا.

الخوف هو ما يقتلنا ويحول بيننا وبين رؤية الأشياء كما هي، يلجم ألسنتنا وأقلامنا عن أن نفتح ونتحدث عما نحن عليه وما يجب أن نكونه.

هذه الورقة والشرائح التالية محصورة بما أذاعته ونشرته وبنته وسائل الإعلام الخليجية، وعلى الأخص وسائل الإعلام السعودية والإماراتية. وهذه الورقة قامت على استعراض وتحليل أكثر من 103 من المواد الإعلامية مابين مقالة وتقرير وبرنامج حوارى ووثائقي وتفصيلها كالتالي:.

13 مادة بثتها سكاى نيوز عربية، 4 مواد من تلفزيون أبوظبي القناة الأولى ومن قناة أبوظبي الرياضية، 6 مواد من تلفزيون الشارقة، و10 مواد عبارة عن مقالات نشرتها وسائل إعلام إماراتية ناطقة بالإنجليزية بمنافسها جلف نيوز، 33 مادة صحفية من الصحف السعودية الشرق الأوسط، عكاظ، الرياض، وغيرها. 5 برامج بثتها قناة العربية، 2 من البرامج على القناة الإخبارية السعودية، و4 برامج بثتها قناة الMBC الأولى.

ومن الإعلام القطري 14 مادة بثتها الجزيرة مابين برنامج حوارى ولقاء وتقرير ووثائقي، 4 مواد من الجزيرة الإنجليزية، 6 مواد من تلفزيون قطر، و2 من تلفزيون العربي الجديد.

يمكن اعتبار الميدان الإعلامي في الأزمة الخليجية الأخيرة مشهداً لواحدة من أهم جولات المعركة، لانطلاق الأزمة عبره من جهة، ولكون الوجه الأبرز للخلاف بين السعودية والإمارات والبحرين من جهة، والإعلام القطري الرسمي أو الممول من الدوحة اعتمد على خلفيات أيديولوجية وأخلاقية لا يسفر عن حقيقتها سوى الجدل الإعلامي.

وكانت المقارنة بين القنوات الممثلة لوجهة نظر التحالف (الدول المقاطعة للدوحة) وبين ما هو ممثل أو تابع للدوحة غير عادلة في ظل وجود شبكة قنوات الجزيرة والاستثمار الطويل لقطر والإخوان والقوميين العرب فيها، مع وجود قناة الجزيرة الإنجليزية تصبح المسألة أكثر ظلماً لعدم

وجود ما يكافؤها. ولكن ذلك لم يكن نهائياً خاصة مع تطوّر الإعلام الرقمي وتعدد القنوات، وعملية فرز المتأثرين.

إعلام الدول المكافحة للإرهاب والإعلام القطري: المضمون والمتقي

الظاهر من مضمون إعلام دول التحالف الثلاث وجود أربع رسائل أساسية بخصوص قطر: الأولى: قطر تدعم الإرهاب. الثانية: قطر خلقت فوضى في المنطقة. الثالثة: لا يُمكن الثقة بقطر فهي تلعب على كل الحبال، وأن الحل في الرياض. الرابعة: عزل ومقاطعة قطر أمرٌ مسوّغ بل وضروري. والظاهر من مضمون الإعلام القطري وجود خمس رسائل رئيسية: الأولى هذا حصار وليس مقاطعة، الثانية: السعودية والإمارات تشقان الصف الخليجي، الثالثة الإمارات خلقت الفوضى في اليمن ومصر. الرابعة: السعودية والإمارات يريدان انتهاك سيادة قطر وهما أولى بالاتهام بالإرهاب، والخامس: السعودية والإمارات ومصر والبحرين يقمعون شعوبهم ويخافون من الحرية.

المستهدفون من هذه الرسالة هم: أولاً: الرأي المحلي. ثانياً: الرأي الخليجي. ثالثاً: الرأي العربي. رابعاً: صنّاع السياسات في الغرب. خامساً: الرأي العام العربي بهدف تأثيره على صنّاع السياسات وأيضاً لأغراض تعزيز القوة الناعمة.

فكيف أبلت هذه الرسائل؟

الرأي المحلي

هنا يُمكن القول بأنّ التحالف قد نجح في كسب الرأي المحلي، ولكن لا يُمكن قياس هذا بدقة بالنظر إلى غياب الجدل العلني في الموضوع.

وبالنسبة للدول الثلاث المكافحة للإرهاب تفاوت الأداء من حيث المحتوى، كان هناك برامج قدمت للمشاهد رسالة غنية ومحدثة، وبدرجة أبسط. بينما كانت أخرى تتبنى سياسة هجومية أكثر شراسة وارتباطاً بالأشخاص أحياناً، وبعضها كانت الأنجح في إيصال الرسائل السريعة والمؤثرة احتوت على آراء أكثر جرأة.

على الجانب القطري، كان برنامج الحقيقة على قناة قطر، هو البرنامج اليومي الأبرز الذي يبث بشكل ثابت ويتفرغ له مذيع واحد وفريق إعداد متناوب، ويحاول أن يتناول الأحداث اليومية بشكل دائم، وبأسلوب دفاعي ينتقي له أكثر من ضيف. وهو يمثل الرأي الواحد أيضاً، ويبدو أنه يمثل النواة لبقية البرامج، وتستخدم أفكاره حتى قناة الجزيرة. ويشارك فيه خبراء من كل القطاعات في قطر، وتشارك فيه المرأة القطرية أيضاً. ولا يلتزم بالوقت ما دام يخدم الأفكار. ويلاحظ أنه استمر لما يقرب مئة يوم ويتطور بشكل ملاحظ، من ناحية الضيوف ومن ناحية المقدم.

الرأي الخليجي

نجح إعلام الحلفاء (السعودية والإمارات خصوصاً) في إظهار الوجه القبيح للسياسة الخارجية القطرية. فقد نجح في جعل الرسالتين الأولى والثانية مثار جدلٍ ووضع قطر في موضع الدفاع. وهنا لم يستطع الإعلام القطري أن يدفع التهمة عن نفسه تماماً. ولكن هذا النجاح جاء منقوصاً بسبب التركيز الإعلامي على الرسالة الثالثة وبشكل أخص على الرسالة الرابعة. فالرأي العام

الخليجي كان بحاجة إلى وقت قبل التركيز على عدم الثقة بقطر أو على أنها تستحق المقاطعة. ولذلك لما فشلت قطر في الدفاع عن نفسها لجأت إلى أمرين: الأول: التباكي واعتبار أن ما حصل مبالغة، وأنه قد يحصل لدول خليجية أخرى (عمان، الكويت). الثاني: الحملة المضادة، وذلك بإنتاج مادة مقابلة تربط بين كل من السعودية والإمارات وبين الإرهاب وبينهما وبين الفوضى في المنطقة. وقد انساق إعلام التحالف (السعودي الإماراتي) للرد على قطر في الأمرين، وهو ما شنت الرأي العام الخليجي. ونلاحظ تركيز قطر على الأبعاد "الإنسانية" للمقاطعة، والإصرار على استخدام عبارة "الحصار" ... كل هذا لأنه أدخل الرأي العام الخليجي في جدل "إنساني" بعيد عن الجدل السياسي الأصلي. أي إنه للرأي الخليجي كان الأفضل التركيز على الرسالتين الأولى والثانية. وترك الثالثة والرابعة.

أمرٌ مهمٌ نجح فيه التحالف، هو أنه دفع الجزيرة لإظهار وجهها الحقيقي. فبعد أن كانت تتشدد بالمهنية وبالإستقلال عن حكومة قطر، فإنها ظهرت الآن وكأنها أداة تسييرها السياسة القطرية. هذا كان معروفًا للخبراء والمتابعين ولكن الآن ظهر بشكل فاقع لا يمكن المغالطة حوله.

الرأي العربي

هنا يُمكن تكرار ما قيل عن الرأي الخليجي. ولكن هنا نقطة مهمة فاتت إعلام الدول المقاطعة المكافحة للإرهاب واستفاد منها الإعلام القطري، فقد تم التركيز على دعم قطر للإرهاب وترجمته بدعم قطر للإخوان المسلمين. في حين كان يجب التركيز على الفوضى التي خلقتها قطر في المنطقة. الإعلام القطري ركز رده على دفع تهمة الإرهاب عن الإخوان المسلمين، وتحوّل الجدل إلى موضوع أقل أهمية بالنسبة للمشاهد العربي الذي تضرر بسبب قطر. للمشاهد العربي كان الأفضل التركيز على فوضى المنطقة بسبب قطر فقط.

لقد حاول الإعلام القطري المحافظة على رسالة وضعها في قالب أخلاقي؛ وحشد المشاعر الإسلامية، سواء في رمضان أو الحج، وكان لهما أثر كبير عند بعض المسلمين البعيدين الذين سمعوا التهمة ولم يتمكنوا من سماع الرد. كما أنّ محاولة تصوير القطريين للإمارات على أنها دولة تكافح الإسلام والسعي الدؤب لشيطنة شيوخها، ساعدهم في ذلك عناصر الإخوان المسلمين الذين لم يتوقفوا يوماً عن تشويه صورة القيادة.

خلاصة

لحكي يحقق إعلام السعودية والإمارات ودول التحالف اختراقاً أكبر في الرأي العام فعليه مضاعفة التركيز على الخطاب الشعبي أكثر من الكلام الدبلوماسي أو تصريحات السياسيين، بمعنى آخر إن كان وصف قطر بالإرهاب ودعم الإرهاب إستراتيجية قد تنجح دولياً في الضغط على قطر، فإن نجاحها في المنطقة العربية يتطلب دقة أكثر في توضيح معنى الإرهاب وفي التمييز بين ما يستوجب مخاطبة الجمهور الأجنبي به، وبين ما يستوجب مخاطبة الجمهور العربي. كما ويتوجب التعمق في عرض الأمثلة والشهادات ومقابلات مع ضحايا هذا الإرهاب ... الخ، أكثر من التركيز على نقل التصريحات السياسية لهذا المسؤول أو ذاك في وصف قطر بالإرهاب.

يجب التفريق بين الرسالة الموجهة لمواطني دول الخليج وتسويقها على السوشال ميديا ضمن نطاق دول الخليج، وبين ما يمكن تسويقه ضمن منطقة بلاد الشام أو شمال أفريقيا. أي أن كثيراً من القضايا المرتبطة بالسياسات الأمريكية هي محل تحفظ ورفض لمواطني دول الربيع العربي، وبلاد الشام خصوصاً، وقد لا تكون كذلك لغالبية مواطني دول الخليج وهذا يتطلب مراعاة ذلك في السرد وطريقة عرض المادة.

مصطلح الإرهاب يستخدم بكثرة دون تحديد التعريف ونطاقه، وهذا السياق محل تحفظ ورفض عند كثير من قطاعات المجتمع العربي، كما هو مدخل قوي جاهز للاستغلال والتوظيف من قبل أنصار الجزيرة والإخوان، ومفاده بأن الإعلام السعودي والإماراتي يشوه الإسلام ولا يفصل بين الإرهاب والجهاد أو حتى نضال الفلسطينيين.

انتهى